كلمة الأستاذ الدكتور نضال الصالح

معاون وزيرة الثقافة

«غَــريبيَنِ سَلَّمنا،ولـــَمَّت جَناحهــا وَوَشوشَ غُصنٌ جارَهُ يسأَلُ الغُصْنا
غَــريبين نهــرٌ مــن ســنين يشــدُّنا إلى الصمتِ حتى يُنكرَ الوترُ اللحنا
هُنا فوق هذا الجذعِ مرَّت إلاهةٌ وألقت على شَبّابتي همسها اللَّدنا
هُنــا خــطَّ طفــلُ الأمــسِ أولَ دفــترٍ وسَــبَّحَ في خَــدَّيْ رفيقتــهِ الحَسْــنا»

هي النعيرية إذن.. الغادة العربية المستلقية على سرير الشمال السوري. المولودة أبدًا من تاريخ لا ينتسب إلى غير العروبة والعرب. النعيرية: المولد، والنشأة الأولى، والفتنة البكر بالحرف، والانتماء إلى جذر باذخ الأصالة، والأصالة التي تتنفس هواءها من وطن أبدع الإبداع، وأبدعه الشعراء، فكان قاب حرفين أو أدنى من السماء.

وهو أنتَ إذن.. ذلك الطفل سليمان الذي تبارك به الضوء، ذات عتمٍ، من سنة إحدى وعشرين وتسعمئة وألف، فتراقصَ شجرُ حارة بساتين العاصي، مِن غبطةٍ بكَ، وتعطرتْ شجرة التوت في باحة الدار بإيقاع السُّوَر والآيات التي كنت ترتِّل وتحفظ، وبموسيقى المعلقات وقصائد المتنبي، وأنت تنشد. وهو إذن الأبُ الشيخُ أحمد مدرستُك الأولى، ومنها، ومن الكتاب، كتاب الأب نفسه، ستكون سباحتك البدء في نهر المعرفة. وهي، إذن، التاسعة،أو نحو العاشرة، من العمر،ستغويك جنّياتُ الشعر بحُسنها، فتهرع إليها،لتكتب على قاماتها «البهاء» أول ديوان لك، مهمومًا بالفقراء والمتعبين بزادِ يومهم وهويتهم ومعنى انتمائهم إلى أرضٍ عربيةِ الوجه، واليد، واللسان.

الطفل الذي كان. الطفل الذي مضى طفلاً في نحو الثانية والتسعين من العمر. في أنطاكية، وفي الرابع مباشرة، وفي مدرسة العفّان، كانَ أول خطوك في طريق الدراسة، ومن أنطاكية ستغادر اللواءَ مغتربًا قسرا إلى جسر الشغور.

يا لِجَسر الشغور لو كانت ذكرتْ قبل ما يزيد على سنتين أنك مررت بها قبل ما لا يزيد على ثمانين سنة!.

ومن الجسر إلى حماة، فاللاذقية، فدمشق في ثانوية التجهيز الأولى، فبغداد في دار المعلمين العالية، فحلب.

يا لِحَلَبَ وقَبْوِكَ في شارع فيصل الذي كان يفيض بالماء كلما سكبت السماء دمعها على أمة تناهبها/ يتناهبها اليباس، ويا لكَ وأنتَ لا تنسى، إذ تشكو ساخرًا، آلام هذه الأمة:

باختصار، سكنايَ قبوٌ عميقٌ.. مثل آلام أمتي العربية

يا لِحَلبَ المثخنة الآن بحراب الظلام، وكانت، حين كنت فيها، وفي الستينيات، غارًا وزعترًا وريحانًا من الأنوار.

من بديعك الأول:«**مع الفجر**» الصادر، سنة اثنتين وخمسين، في حلب/ حلبي التي احتضنتك أولَ لسعة جمر في أتون الاغتراب جسدا، إلى شاعر بين الجدران، وأعاصير في السلاسل، وثائر من غفارُ، و«**رمال عطشى**»، و«**قصائد عربية**»، و«**الدم والنجوم الخضر**»، و«**أمواج بلا شاطئ**»، و«**رسائل مؤرقة**»، و«**أزهار الضياع**»، و«**كلمات مقاتلة**»، و«**أغنيات صغيرة**»، **وسواها حتى** «**على طريق العمر**»، و«**الكتابةُ بقاءٌ**»، و«**النعيرية قريتي**»، و«**ثمالات**»، كنتَ، ظللتَ، تغني، مضرجةٌ روحُك ومتعَبٌ حبرك، بالتَّوْق إلى الإنسان / الإنسان.. العرب/ العرب.. العروبة/ العروبة، وكنتَ،

وظللتَ، مترفًا بالشدو للطفولة، وللأمة التي حملتَ همَّها / همها من أقصى جرح فيها إلى أقسى ملح في جرحها.

ويا أبتاه، الذي يتوسّدُ الآن ساعدَ الأبد.. أيها الشاعرُ الشاعرُ، كأني أراك تنهض الآن في مقبرة الشيخ رسلان.. كأن المبدعين الذين سبقوك في الرحيل.. كأن المبدعين الأحياء.. كأن دمشق الآن.. كأن حلبَ.. كأن سورية كلها الآن.. تردد ما كنت أنشدت ذات يوم:

يا إلهي.. يا إلهي.. يا مجيب الدعواتِ
اِجعل اليومَ سعيداً، وكثيرَ البركاتِ
واحْمِنا واحْمِ بلادي... من شرور الحادثاتِ
وامْلَأ الدنيا سلاماً... شاملاً كلَّ الجهاتِ.